واقع اللغة العربية بين تمثلات الواقع القرائي والممارسة

The reality of the Arabic language between representations of reading reality and practices

د.عمرو رابحي*

تاريخ الإرسال: 2023/01/01	تاريخ القبول: 2023/04/17	تاريخ النشر: 2023/05/10

الملخص:

يهدف هذا المقال في محتواه إلى مناقشة موضوع العملية التعليمية التي تستهدف في جوهرها واقع تعلم اللغة العربية لدى تلميذ المرحلة الابتدائية الذي يعد حجر الزاوية في العملية التربوية برمتها، ونعني هنا بالذكر نشاط القراءة الذي يعد الأهم في كل هذه العملية التي ترمي إليها المنظومة التربوية ، وهنا نخص بالذكر ذلكم الضعف الملاحظ في مادة القراءة بمؤسساتنا، وعدم تمكن تلامذتنا من اكتساب ملكة اللغة العربية، التي تدرَّسُ في شتى العلوم وفي كل الأطوار التعليمية والذي يترك دوما تساؤلا ملحاً ومطروحا على شفاه كل الملاحظين لهذا الوضع المتدني الذي آلت إليه _مادة القراءة_ ومدى معرفة الأسباب أو الدواعي التي أدت إلى هذا التدهور الخطير وهل هذا التدني ناتج عن الأداء التربوي التعليمي أم مرده إلى أسباب أخرى غير هذه أم إلى التلميذ؟ أم يعود إلى أداء المعلم أم هما معا؟ أم يعود أصلا إلى تلك النصوص المقدمة للتلميذ؟ أم إلى المنظومة التربوية برمتها؟ ولعل جزءا من هذه التساؤلات تجيب عنه هذه المداخلة المتواضعة.

الكلمات المفتاحية: التعليمية، التربوية، التلميذ، القراءة، اللغة.

Abstract:

In its content, this paper aims to discuss the subject of the educationalprocess, which in essence targets the reality of learning the Arabic language for the primaryschoolstudent, which is the cornerstone of the entireeducationalprocess. We single out that the weaknessobserved in the reading subject in our institutions, and the inability of our students to acquire the faculty of the Arabic language, whichistaught in various sciences

*جامعة أكلي محند اولحاج البويرة ، a.rabhi@univ-bouira.dz

and in all educational stages, whichalwaysleaves an urgent question raised on the lips of all observers of thislow situation that has become – the readingsubject – and the extent to which the reasons or reasons are known. Which led to thisseriousdeterioration, and is this decline the result of educational performance, or isit due to reasonsother than these, or to the student? Or is it due to the performance of the teacher, or both? Or is it due originally to thosetextssubmitted to the student? Or to the educational system as a whole? Perhaps part of these questions will be answered by this modest paper.

***Key words**:didactics, pedagogical, student, reading, language*

*** *** ***

المؤلف المرسل: عمرو رابحي a.rabhi@univ-bouira.dz

مقدمة:

تعد العملية التعليمية أو بالأحرى التعليم برمته؛ من أهم العوامل التي تسهم في بناء الأمم، كما تسهم في تنشئة الإنسان وتطويره علميا وفكريا وثقافيا، تماما كما تسهم في وعيه، وذلك من خلال بناء نفسيته، البناء المتوازن كي يتناغم مع مجتمعه وينطلق في حياته العملية وقد هيئ على مجابهة قضايا الحياة ومصاعبها المختلفة بكل ثبات لماله من رصيد معرفي، وكيفية التعامل معها على أسس يكون مرجعها ومردها إلى تلك القيم التي شب عليها وترعرعفي بداية حياته وتدرج في اكتسابها من المؤسسات المختلفة التي مربها، ولعل أبرزها أولا البيت الذي ترعرع فيه، وثانيا المدرسة التي تعد بحق المحضن الطبيعي لبناء الأجيال – أي أجيال المستقبل الواعد-وفق تلك البرامج المعدة والمرسومة سلفا والتي تأخذ بعين الاعتبار سن التلميذ وقدراته العقلية والنفسية وكذا معرفة محيطه الذي يعيش فيه ولغته وحاجياته، وإذا كانت المدرسة هي المحضن الطبيعي كما أسلفنا القول فإن اختيار البرامج التعليمية وإعداد المعلمين وتكوينهم تكوينا يضمن ديمومة البرامج المعدة يعد قطب الرحى في كل عملية تربوية تسعى إلى الرفع من مستوى التلميذ

والأخذ بيده نحو المزيد من التعلم المفيد، وإن كان الواقع التربوي أو التعليمي تشترك فيه عدة عوامل تسهم في إنجاحه وترقيته وهنا يمكن القول بأن الثلاثي المهم هو الذي يصنع هذه العملية التعليمية المميزة والمتمثلة أساسا في ثلاثة أقطاب رئيسة وهم:

التلميذ

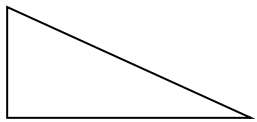

المعلم المنهاج

أولا: المعلم الذي يعد المحرك الأساس والذي يكون على عاتقه المناط في تطبيق كل ما يقدم له من برامج معدة سلفا ومختارة تكون موافقة لسن التلميذ ومحيطه ومقدرته. لأن "[(أفضل المناهج وأحسن الأنشطة والطرائق وأشكال التقويم لا تحقق أهدافها بدون وجود المعلم الفعال المعد إعدادا جيدا والذي يمتلك الكفايات التعليمية الجيدة)]"[(1)].

ومن هنا تكون براعة المعلم وحنكته العلمية ومقدرته على تبليغ المادة العلمية على أحسن مايرام وفي هذا يقولالأستاذ"أحمد حسن عبيد": [(يكاد يكون هناك إجماع على أن المعلم هو أهم عامل في العملية التربوية، فالمعلم الجيدحتى مع المناهج المختلفة يمكن أن يحدث أثرا طيبا في تلاميذه، وعن طريق الاتصال بالمعلم يتعلم التلاميذكيف يفكرون وكيف يستفيدون مما تعلموه في سلوكهم، ومهما تطورت تكنولوجيا التربية واستعملنا وسائل التلفزيون التعليمي فلن يأتي اليوم الذي نجد فيه شيئا يعوضتماما عنوجود المعلم)][(2)].

لاشك أن الاتفاق حول دور المعلم في العملية التعليمية من الأهمية بمكان (على الرغم من الاختلافات التي نجدها بين النظريات التربوية فإن هناك تسليما بأن المعلم

يعتبر مفتاح العملية التربوية، وليس من شك في أن العملية التربوية عملية معقدة متعددة الجوانب والأطراف، فهي إذ تبدأ بالتلميذ الفرد وتتصل في نفس الوقت بأهداف المجتمع وبحاضره ومستقبله على السواء كما أنها وطيدة الصلة بالماضي.) [3]

ومن هنا نعلم أن (تحرك التعليم بكل هذه الخصائص لايأتي من تلقاء ذاته، وإنما يأتي من جانب المعلم، وهوالمسؤول الأول عن إدارة العملية التربوية على أسس فنية وعلمية أصيلة.) [4] وفق ماتمليهعليه قيم الأمة الحضارية في تكوين أجيال الغد، ولعلوجود تلك المعاهد التكنولوجية للتربية_ سابقا_ والمدارس العليا منالقلاع المهمة في تكوينه وإعداده الإعداد الكافي لتبليغ الرسالة الملقاة على عاتقه وفق الطرائق التربوية والعلمية، التي تجعله على اطلاع واف بحقوقه وواجباته تجاه مهنته التي أبت أن تحملها السماوات والأرض والجبال، لثقلها وعظيم تبعاتها وتحملها الانسان رغم هذا.

ومن المتفق عليه عند علماء التربية حول من يُقبل على مهنة التعليم تلك السمات التي ينبغي توفرهافي معلم الأجيال شروطا لايُستغنى عنها في حقل التربية والتعليم برمته وهي:

1_ مبدأ الحب والإخلاص للعمل.

2_ العلاقة الجيدة مع التلاميذ.

3_ مبدأ الاطلاع والتعمق.

4_ مبدأ الاتزان الشخصي والثبات الانفعالي ويظهر ذلك من خلال التصرفات الشخصية السوية والتحكم في الانفعالات [5].

هذه شروط مهمة لكل منيروم التقدم لهذه المهمةالنبيلة، إلى جانب هذا يجب أن يكون على مستوى علمي وتكويني ولاسيما الخلقي الذي يعكس المهمة الموكلة إليه،

كأنيكون على جانبمن السلوك الحسن، لأن التربية والتعليم مهمة الأنبياء والمرسلين علما وخلقا. وقد صدق شوقي حين قال في معلم الأجيال قوله:

قُـمْل لِـمعلـم وَفِّـه التَّبجيـلاَ. كاد المعلم أن يكون رســولَا

أعلمـت أَشْرف أو أجلَّ من الذي . يبني وينشئ أنفـساً وعقـولا ؟

سبحانك اللهم، خَيْرَ معلمٍ .علَّمت بالقلم القرون الأولى

أخرجت هذا العقلَ من ظُلماته. وهَدْيته النُّور المبينَ سبيلاً

وطَبعْتهُ بيد المعلمِ، تارةً.صَدِئَ الحديدِ، وتارة مصقولا

أرسلت بالتوراة موسى مرشداً وابن البتولِ فعلّم الإنجيلا

فجرت ينبوع البيان محمداً فسقى الحديث وناول التنزيلا

وإذا المعلم لم يكن عدلا مشى روح العدالة في الشباب ضئيلا

وإذا المعلم أساء لحظ بصيرة . جاءت على يده البصائر حولا[6].

ثانيا: المتعلم وهو المستهدف الأساس وعليه مدار الحديث ولأجله بنيت المدارس والجامعات والمؤسسات التعليمية ومن أجل إعداده وتكوينهتعد وترتب وتهيأ هذه البرامج والوسائل التربوية وكيف لا وهو المستهدفالأول بيداغوجيا ومن هذا المنطلق التربوي كان الاهتمام به نفسيا واجتماعيا من خلال مايراعى فيه من شروط تؤهله مثل [(النضج العقلي للتلميذ، والاستعداد الفطري والدوافع والانفعالات، وحتى القدرات الفكرية والمهارات ومستوى ذكائه، وما يؤثر فيه من عوامل بيئية في البيت والمجتمع)]"[7].

وإذا كان القولفيمن يتصدى لمهنة التعليم من المعلمين هذه صفاته أوسماته فإن للمتعلم شروطا أساسية في طلب العلم والمعرفة وفي ذلك جملة من الصفات الواجب توفرها فيه ويصدق فيه طالب علموهذه الشروط تكون على النحو التالي:

_ أن تكون لديه الرغبة في التعلم.

_ أن يكون قدوة، وأن يكون عمله مقترنا بالعمل وأن يكون زاهدا.

_ أن يكون متواضعا لايتكبرعلى العلم، ولا يتآمر على المعلم وأن يكون مطيعا لا مجادلاً.

_ أن يكون له منهجا في التعلم.[8]

وعلى ضوء هذه القيم التربوية التي يجب التحلي بها في طلب العلم يمكننا أن نستعرض نموذجا حيامن القرآن الكريم وهو يصف لنا ذلك الحوار الراقي والمتأدب لطالب العلم في تأدبه مع من يعلمه العلم من خلال قصة موسى عليه السلام مع العبد الصالح الذي جاء ذكره في سورة الكهف عندما طلب منه أن يعلمه العلم، فكان مبدأ التعلم فيه أن يصبر عليه وألا يعصيه فيما يفعل أو يأمر قال تعالى: ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا(65)قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا.؟ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا(66)وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا(67). قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا(68)﴾.[9].

إن مبدأ التعلم هنا الصبر وعدم العصيان وهذه جزئية مهمة إن غابت انتفتالعملية التربوية والتعليمية معا، لأن التعلم يكون قرينا بالتأدب وعدم العصيان، ذلك لأن التربية والتعليم توأمان مهمان لاغنىعنهما. ومن هنا نجد كل المؤسسات الجادةتلزم منتسبيها وجوب الطاعة والامتثال بل الانضباط التام وعدم المخالفة والعصيان. ليتسنى لها السير الحسن في آداء مهامها المنوطة بها، وفق ما هو مرسوم لها من أهداف ترتجى.

ثالثا: الطريقة أوالمنهج: يدل على كل التجارب التَّعلمية المنظمة، وكافة التأثيرات التي يمكن أن يتعرض لها التلميذ تحت مسؤولية المدرسة خلال فترة تكوينية، ويشملهذا

المفهوم نشاطات التعلم التي يشارك فيها التلميذ، والطرائق والوسائل المستعملة، وكذا كيفيات التقويم المعتمدة[10].

والعملية التعليمية برمتها تهدف إلى مساعدة المتعلمين إلى اكتساب سلوكيات وأنماط تعليمية تسهم بالأساس إلى تطبيق المنهج المسطر ولا تتحقق الأهداف المرسومة إلا عن طريقه ووفق تخطيط سليم مدروس من طرف المهتمين والباحثين في الحقل نفسه من معلمين وأساتذة باحثين ورجال تربية وعلم النفس وتشريع، ومن يقوم بتطبيقه ميدانيا هم المعلمون والأساتذة أنفسهم، ذلك لأن المعارف التي برمجت وفق المنهج لا يمكن أن تصدر إلا ممن لديهم الخبرة الكافية. والعملية التعليمية حتى تكون ناجحة وناجعة لا بد أن تتسم بجملة من الشروط وهي:

1 _ أن تكون الأهداف واضحة وتشتق من خصائص المتعلمين وميولهم.

2 _ مجالات التعلم المعرفية والوجدانية تهتم بالنمو المتكامل والمتوازن لشخصية المتعلم.

3_ المحتويات والمضامين دقيقة ومتدرجة من حيث البناء، هدفها مساعدة المعلم على التكيف مع بيئته الطبيعية والاجتماعية.

4 _ مصادر التعلم متنوعة في الوسط المدرسي وخارجه، والمعلم ما هو إلا مصدر منها.

5 _ دور المعلم منشط ومنظم، ومسهل لعملية التعلم.

6 _ دور المتعلم محور العمليةالتعليميّة، فهو العنصر النشيط فيها[11].

هذه أركان العملية التعليمية التي تسهم بشكل مباشر وفعال في تقديم المادة العلمية وعليها مدار التعليموالتعلم، غير أننا رغم هذه الركائز وهذه البرامج وما يضاف إليها من وسائل مختلفة نجد مادة القراءة – والتي تعد الأهم – من كل هذا عرفت تدنيا مخيفا بل مريعا لاسيما في السنوات الأخيرة من نهاية القرن العشرين ومستهل بداية

القرن الواحد والعشرين وهذا الضعف الملاحظ والتراجع المخيف بات يشهد به حتى من ليست له أية علاقة بعالم التربية أوالتعليم فضلا عن الممارسين لمهنة التعليم أنفسهم، ولعل هذا التساؤل المطروح في مقدمة هذاالمقال يعيدنفسه بطرح السؤال الكلي أو الجوهري وهو أين يكمن الخلل ..؟

وللإجابة عن هذا السؤال لا بد من استعراض عام لمادة القراءة في منظومتنا التعليمية، وفي البداية لابد من الوقوف بداية على معنى كلمة قراءة ثم نحاول التعرض لأراء الباحثين والدارسين في هذا الميدان بالتحليل لنتعرف على أهمية القراءة ودورها في كل هذا.

وقبل هذا لابد لنا من التطرق في استعراض بعض التعاريف للقراءة لغة واصطلاحا؟ ولنبدأ أولا بـ:

أ_ **التعريف اللغوي**: جاء في لسان العرب، القرآن: [(التنزيل العزيز، وإنما قدم على ماهو أبسط منه لشرفه، قرأَهُ يقرؤُهُ ويقرُؤُهُ، الأخير عن الزجاج، قرءا وقراءة وقرآناً، الأولى عن اللحياني، فهو مقروء)][12].

ب_ **التعريف الاصطلاحي**: تعرف القراءة في الاصطلاح بأنها: عملية استخراج المعنى من الكلمات المطبوعة والمكتوبة وهي أساسية في التعليم، وتعدأحد المهارات المهمة في الحياة اليومية[13].

ج-وتعرف القراءة على أنها: [(مهارة، وهي فعل بصري صوتي أوصامت يستخدمه الإنسان لكي يفهم ويعبر، ويؤثر فيالآخرين، والقراءة صامتة، وجهرية، وهي بطيئة أوسريعة)] [14].

مهارات القراءة:

تعريف المهارة: هي الأداء السهل الدقيق القائم على الفهم لما يتعلمه الإنسان حركيا وعقليا مع توفير الوقت والجهد والتكاليف، وتعد المهارة ضرورية للمعلم الكفء إذ لا يستطيع من لايملك المهارة تعليم المهارة، فمن لا يتقن الشيء لا يستطيع تحقيق أهدافه أو تنفيذ متطلباته[15].

وقد دعا الإسلام إلى القراءة لأهميتها في أول سورة نزلت على الرسول الكريم- صلى الله عليه وسلم- وهي تحمل الدعوة إلى القراءة أمراً ملزماً قبل كل شيء حيث يقول: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم ﴾[16].

و[(هي من أهم وسائل العثور على الحكمة، فعن طريقها ينفتح باب العلم والمعرفة أمام المتعلم فتتوسع مداركه وتهذب، وتقوّم عاداته.كما أنها مظهر من مظاهر النمو، لها أهميتها بوصفها عاملا من عوامل الشخصية واتزانها)] [17].

القراءة فعل حضاري ورقي إنساني:

[وكلما ازدهرت الحضارة، وتشعبت أطرافها زادت حاجة الفرد والمجتمع إلى القراءة][18].

ولذلك نجد الفيلسوف الإنكليزي [فرانسيس بيكون] يرى أن القراءة تصنع الإنسان المتكامل".

وهذا[إدسون] صاحب الاختراعات العديدة يقول: بالقراءة تعلمت كل شيء.[19].

[(ونظراً لأهمية القراءة عُدّت أساسا للنشاط التعليمي، وصارتعليمها في المدرسة اليوم من الأمور المهمة التي حظيت باهتمام المربين في أنحاء العالم كله في الدول النامية والمتقدمة)][20].

إذن [(فالقراءة تلقى أهمية بالغة في المرحلة الابتدائية بوصفها المدخل الطبيعي للتعلم، بل إن المدرسة الابتدائية تفشل فشلا ذريعا إذا لم تنجح في تعليم تلاميذتها القراءة وذلك لأن نجاح التلميذ وتقدمه في المواد الدراسية جميعها يتفقان على قدراته القرائية، فهي ليست مادة ذات محتوى يمكن أن تدرس منفصلة كأغلب المواد الأخرى، بل هي جزء أساس من كل مادة من المواد الأخرى)][21].حيث نجدها-أي القراءة أواللغة- مسايرة لكل مادة من مواد الدراسة شرحا وقراءة وبها يتوصل التلميذ إلى فهم ما يلقى عليه من مواد دراسية مقررة، ومن هنا فإن معرفة اللغة أوالقراءة مهم ولابديل عنه البته. ومن بين تلك الأسباب التي يغفل الناس عنها في تقوية القراءة لدى المتعلمين التعبير بنوعية الشفهي والكتابي، ذلك لأن التعبير مادة مهمة ورافد قوي يجعل من المتعلم أو المتكلم يعبر عن أفكاره وأغراضه في المواقف التي تستدعي التعبير السليم وهومن الأهمية بمكان لأن المتعلم في هذا[يسمع ويفهم، يختار أفكاره، يعبر عن أفكاره] وإن كانت هناك روافد أخرى تسهم في إثراء قاموسه اللغوي كالتراكيب النحوية والصرف ولإملاء والخط والتحويل وغيرها...

القرآن يدعو إلى القراءة:

ولذلك نجد القرآن الكريم قد حث بقوة على القراءة في أول سورة تتنزل للمكانة التي تحظى بها، ذلك لأنها تعد مفتاحاً لكل علم ومدخل لكل فن. وهذا قبل الإقبال على أيعمل من الأعمال أوأية عبادة من العبادات لشرفها ولقيمتها ولأهميتها فبالقراءة يعرف المرء ربه وصلاته وصومه وزكاته وحجه وسائر أعماله في هذه الحياة، وتبقى القراءة وطلب العلم فريضة ربانية حيث جاء في الحديث الذي أخرجه ابن ماجة في سننه بسنده عن مالك بن أنس رضي الله عنه قال: قال-رسول الله ﷺ: [طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ][22].

ودعوة الإسلام إلى طلب العلم والاجتهاد في الحصول عليه كثيرة وهي مبسوطة في الكتب، ومما جاء في الأثر قول أحدهم عن قيمة العلم وأفضليته[(من أراد الدنيا فعليه بالعلم ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم ومن أرادهما معا فعليه بالعلم)][23].

واقع اللغة العربية:

يقول مصطفى صادق الرافعي بشأن اللغة: «وأما اللغة فهي صورة وجود الأمة بأفكارها، ومعانيها، وحقائق نفوسها، وجودا متميزا قائما بخصائصه[24].

فليس كاللغة نسب للعاطفة والفكر، حتى إن أبناء الأب الواحد، لو اختلفت ألسنتهم فنشأ منهم ناشئ على لغة، ونشأ الثاني على أخربوالثالث على لغة ثالثة، لكانوا في العاطفة كأبناء ثلاثة آباء»[25].

والمتفحص في واقع التعليميجد مكانة اللغة العربية (اللغة الرسمية) تنتقص أطرافها من كل جانب حيث باتت الدروس الملقاة على التلاميذ- من بعض المربين- تشوبها الدارجة وفي بعض الأحيان اللغة الأجنبية لعدة أسباب فمنها ما يعود لأسباب تاريخية كالاستعمار، ومنها مايعود لأسباب إجتماعية كميول الأولياء للغة الفرنسية باعتبارها لغة المناصب والخبز ومنها مايعود إلى مؤثرات اجتماعية ومنها ومنها...، وليس الأمر يقف عند هذا الحد بل تعداه إلى أكثر من هذا بحيث نجد التنكر لهذه اللغة حتى عندأولئك المدرسين لها أنفسهم إلامن البعض وقليل ماهملدرجة أن صار أمرها غيرلائق بالمرة فهي مهمشة وغير موظفةفي حياتنا اليومية، ولاسيما عند بعض المثقفين من أبنائها، لانصرافهم إلى اللغة الأجنبية وبالأخص الفرنسية أو العامية الدارجة بدل الفصحى التي تعد لسان القرآن والحديث النبوي الشريف، ومن يستقرئ حال التاريخ عن حال اللغة في القديم يلمس ذلك التعلق وتلك الغيرة التي دفعت ببعض العلماء من اللغويين والنحاة لمجابهة مثل هذاالتدني في أوساط الناس مما دفعهم إلى رصد هذه الظاهرة والحد من انتشارها، والعمل على معالجتها علميا وبتآليف عدة.

" ولعل خطورة دور المدرسة في هذا المجال هو الذي جعل الدول الواعية على اختلاف نظمها السياسية تباشر عملية الإشراف الكامل على شؤون التعليم في بلادها حتى تضمن عدم انحراف المؤسسات التربوية عن الخط القومي العام للجماعة[26]".

واقع اللغة في القديم والحديث: وكانت الشكوى قديما.

فتصدى لها

ومن هنا نسجل ما قاله أحد الأعلام في هذا الشأن وهو الأستاذ المحقق عصام الشنطي [ت:1414ه] ذكره لمجموعة من الكتب التي أُلفت لعلماء كبار فيما مضى تذكر انزعاجهم وفزعهم من شيوع اللحن في زمنهم وابتعاد الناس عن توظيف اللسان العربي توظيفا صحيحا ومن هذه المؤلفات التي جاء ذكرها في هذا الصدد كانت كلها تجمع على درأ الخطر والدفاع عن اللغة كتبصير الناس بضرورة التمسك بها وعدم مجافاتها ومما يذكر من كتب ألفت في هذا المجال لأعلام كبار لهم باع واسع في علوم اللغة والدين :

نذكر من بينهم على سبيل المثال لا الحصر المؤلفات التالية وهي :كتاب (لحن العوام): للإمام الكسائي، و(**لحن العامة**): للفراء، **وما خالفت فيه العامة لغات العرب**: للقاسم بن سلام، **ومعجم لسان العرب** لابن منظور [ت:711ه] وكتاب **إصلاح المنطق:** لابن السكيت، ومما جاء في مقدمة الكتاب: [وهذا الكتاب قد أراد ابن السكيت به أن يعالج داءًا كان قد استشرى في لغة العرب, والمستعربة، وهو داء اللحن، والخطأ في الكلام، فعمد إلى أن يؤلف كتابه, ويضمنه أبوابًا يمكن بها ضبط جمهرة من لغة العرب][27].

وقد لاحظ ابن الجوزي [ت:510ه]أيضا ما لا يسره من أهل العلم في زمنه حيث انحط شأن اللغة عندهم فألف في ذلك كتابه الموسوم [بتقويم اللسان] وقد ذكر ذلك

في مقدمة الكتاب قائلا: [فإني رأيت كثيرا من المنتسبين إلى العلم يتكلَّمون بكلام العوام المرذولِ جريا منهم على العادة، وبعدا عن علم العربية،] [28].

بعض معوقات القراءة في هذا العصر:

لا نغالي هناعندما نستعرض جملة من القضايا في عصرنا الحاضر والتي كانت من بين الأسباب في تدني القراءة وضعف المستوى (سواء أكانت على مستوى الفرد أم على مستوى المجتمع) وإن كانت كثيرة ومتعددة، وهنا نذكر بعضا من هذه الأسباب على سبيل الذكر لا الحصر وإن كانت متعددة فمنها ما كانت له علاقة بـ :

أسباب علمية بحتة: قبول الطلاب ذوي المستويات الضعيفة في مهنة التعليم أو دون الحصول على فترات تدريب تؤهلهم للقيام بمهمة التعليم كأساتذة ومعلمين.

أسباب اجتماعية: كانفصال الوالدين واليتم والفقر وهي من الأسباب التي تقف عائقا أمام الراغبين في التعلم .

أسباب تربوية: وتتمثل في قصورمناهج التعليم واعتمادها على الفهم فقط وغياب الحفظ لاسيما المواد التي تتطلب الحفظ. وإن كان الأمر هو الربط بينهما، فما كان للحفظ وجب حفظه وما كان يستحق الفهم وجب فهمه، عكس بعض الملاحظين ممن يعتمدون على الفهم فقط وهذا ما لا يقره عقل لأن تصفح تاريخ الأمة يحيلنا على كثير من العلماء الحفاظ لا زالت مؤلفاتهم تملأ المكتبات والخزائن.

ضعف حال المعلمين القائمين على تدريس اللغة العربية من حيث استيفاء المادة العلمية.

ضعف الدراسة من جوانب متعددة ومن أهمها المواضيع المختارة و كذلك طرق الأداء.

غياب دور الأسرة في تنمية حب القراءة لدى الأبناء. وغياب الدافعية لدى التلاميذ.

أسباب إعلامية: غلبة العامية على لغة الحوار الإعلامي وتخلي الإعلام عن دوره المهم في توجيه المجتمع كالإسهام بتشجيع القراءة والمطالعة أو بالأحرى توعية المجتمع وانصراف الكثير من القنوات إلى عرض أفلام ومسلسلات لا تخدم هذا الجانب وربما كانت برامجها ترفيهية لاتستعمل اللغة الفصحى وتقتصر على الدارجة وربما تعدت عروضها إلى العبثية التي لا طائل من ورائها إلا التغريب والخراب على حد قول الشيخ الإبراهيمي –رحمه الله- مخاطبا مصر في إحدى مقالاته في عيون البصائر قائلا :

«إنهم لم يقاتلوك بالحديد والنار إلا ساعةً من نهار، ولكنهم قاتلوك في الزمن كله بالأستاذ الذي يفسد الفكر، وبالكتاب الذي يزرع الشك، وبالعلم الذي يُمرض اليقين، وبالصحيفة التي تنشر الرذيلة، وبالفلم الذي يزّين الفاحشة، وبالبغيّ التي تخرب البيت، وبالحشيش الذي يهدم الصحة، وبالممثلة التي تمثّل الفجور؛ وبالراقصة التي تغري بالتخنث؛ وبالمهازل التي تقتل الجدّ والشهامة» [آثار الإبراهيمي 3/ 498].

وهنا نسجل للدكتور: عبد العزيز التو يجري المدير العام للمنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة كلام تحسن قراءته حول اللغة العربية في الإعلام الأجنبي حيث يقول: ومن الغريب أن الفضائيات الأجنبية التي تُبث من عواصم غربية توجه للعالم العربي، تحترم اللغة العربية بشكل واضح سواء في نشرات الأخبار، أو في البرامج السياسية والحوارية، أو في المواد الثقافية والبرامج الوثائقية والتاريخية.

ولا بأس أن نذكر من بين هذه القنوات قناة [البي بي سي] وقناة فرانس[24] والقناة التركية، وقناة [الحرة الأمريكية]، والقناة [العربية والروسية]. هذه القنوات الفضائية، يحرص القائمون عليها، أشد الحرص، على سلامة اللغة العربية لدى

المذيعين والمذيعات على نحو يكاد ينعدم لدى الفضائيات والقنوات العربية إلا فيما ندر[29]. وهو محق فيما ذهب إليه. ومن بين تلك الأسباب أيضا نجد هناك.

أسباب اقتصادية: كغلاء أسعار الكتب، ودخول الأولاد سوق العمل بثمن قليل دون التفكير في الدراسة بجدية، وأسباب إدارية كتنظيم الوقت بحيث يصرف كله في غير ما فائدة كاللهو واللعب وغياب النظرة المستقبلية التي تحمل التلميذ على وعي الذات والتفكير في المستقبل.

ومن بين الأسباب أيضا عدم استخدام اللغة العربية في الحياة اليومية، وإن وجدت فركيكة ودارجة لاعلاقة لها بالفصحى، لتفشي الأمية اللغوية وكثرة الرطانة على ألسنة المتحدثين حتى على مستوى بعض ممن ينسبون للعلم، لزعمهم بأن اللغة العربية قاصرة من مواكبة التطور،

إخفاق المناهج الدراسية، بتقديمها كتابات سطحية وفجة، تقتل الرغبة في القراءة لدى التلاميذ وتخلق لهم السآمة مما تجعلهم في الأغلب الأعم ينبذون القراءة، ويطلقون الكتاب وأخيرا يهجرون المدرسة.وهنانسجل ملاحظة مهمة حيث نجد كتاب اللغة الأجنبية يكتب بالألوان الطبيعية عكس كتاب اللغة العربية الذي نجده يفتقر إلى مثل هذا مما يجعله منفرا ولا جاذبية له، وقل ما شئت أيضا عن تلك الصور التوضيحية التي تثير القرف والاشمئزاز إن لم تثر السخرية والاستهزاء. فمثلا رسم صورة لعنترة ابن شداد على كتاب اللغة والنصوص في مرحلة الثانوي ترسم بشكل سيء وردئ وصورة أخرى لتوفيق الحكيم على واجهة الصفحة حجمها لا يتعدى حجم طابع بريد؟... ويا ليتها فطابع البريد أحسن وأجمل لأنه ملون وذو قيمة.

وكذلك من بين الأسباب التي كانت تقف وراء ضعف القراءة، ضعف الكتابة العربية، لأن القراءة ترتبط ارتباطا وثيقا بفن الكتابة أو (الخط) وهذا يكاد ينعدم في مؤسساتنا التعليمية.

- هجران التلاميذ للقراءة بعد الانتهاء من كل سنة دراسية أو جامعية وما يلحق الكراريس والكتب من تلف وتمزيق أوإحراق مع نهاية كل سنة دراسية.وهذه ظاهرة سيئة تنبئ بعدم الرغبة أو الاحتفاظ بها ولو على سبيل الذكرى...هذا إن دل على شيء إنما يدل على هوان الشيء في النفوس وعدم الاكتراث به، وهذه طامة كبرى...

-ربط الجانب العلمي بالمصلحة كالتوظيف والمال مما جعل الكثير ممن يمارسون مهنة التعليم يغادرون التدريس للتقاعد المسبق أو للجري وراء المصلحة والانخراط الحزبي والنقابي لتحقيق المآرب الآنية على حساب مهنة التدريس التي تعد من أشرف المهن .

الانتقال إلى القسم الأعلى وفق النسبة المئوية في بعض سنوات التعليم أو بالنزول إلى معدل أدنى، ولاسيما مرحلة التعليم الابتدائي التي تعد القاعدة الصلبة، لما سيأتي بعدها ولو لم يحصل التلميذ على كل مفاتيح القراءة الصحيحة. أي: (معرفة الحروف)، وهذا في حدذاته حرق لمراحل التعليم.

- **مقترحات العـــلاج:**

- ضرورة محاربة الغش في الامتحانات ولا سيما المصيرية منها وإعطاء الفرص لذوي الكفاءة.

- ضرورة احترام مكانة المعلم ماديا واجتماعيا إضافة إلى توظيف الأكفاء والملتزمين ومحاربة العبثية الأخلاقية في مؤسساتنا التربوية بمراعاة الأخلاق بدءا بالهندام وقيم المجتمع لأن الأمم أخلاق. ولا يستثنى في هذا أيٍ كان...

ضرورة مراجعة البرامج التربوية ولا سيما منها تلك المتعلقة بمادة اللغة العربية وفي كل المستويات وكل المراحل مع اختيار المواضيع و النصوص التي لها قيمتها العلمية والمفيدة في آن واحد كتلك النصوص التي لها علاقة بالواقع .

ضرورة تعليم وتدريب التلاميذ على القراءة الصحيحة المضبوطة بالشكل التام الواضح، مع ضرورة تعليمهم فن الخط[30].

في مرحلتي الابتدائي والمتوسط وحتى الثانوي دون إغفال التشكيل والضبطو الإملاء. مع مراعاة ما يقدم للتلاميذ والاهتمام الأول شكل الكتاب ومحتواه وحجمه، دون إغفال جانب اللون والصورة الموحية والمعبرة لأن الذوق هنا مهم للغاية.

ضرورة إدخالمادة اللغة العربية في المؤسسات التعليمية الأخرى مثل الجامعات والمعاهد ذات التخصص العلمي أو التقني بل وفي كل التخصصات للأهمية.

- ضرورةاشتراط مستوى علمي مقبول في مادة اللغة العربية في من يتولى مخاطبة المجتمع ولو تحدثا.

- **ضرورة تعريب المحيط:**

ومن القضايا المهمة ضرورة كتابة اللافتات على المؤسسات والشوارع والمحلات بخط مقروء تسند كتابتها لذوي الاختصاص في اللغة، والخطاطين المهرة وذوي الكفاءة العلمية. وهذه اللافتات تسهم هي الأخرى في وعي التلميذ بمحيطه وبلغته، بل تزيده ثراء لغويا حال سيره في الشارع وتقليب وجهه تجاه هذه اللافتات والمؤسسات التي تزيد من إثراء معلوماته بمحيطه الذي يتحرك فيه، فمن خلال قراءته لهذه المعلقات يكتسب معارف شتى وأدوات للتعبير السليم حال وصفه لها والحديث عنها ومن هنا يكون المحيط أحد روافد المعرفة للتلميذ في التعبير ومعين في إثراء المعجم اللغوي للطفل وانطباعا قويا وراسخا في معرفة هذه المؤسسات وفوائدها وربما نمت فكرة في ذهنه حول هذه الأماكن فتصير من اهتماماته لأن المستقبل الذي ينشده الطفل ينطلق من معرفته للأشياء، ولا يبعد أن يكون ذاك الطفل مسيرا لتلك المؤسسة مستقبلا، ومن هنا وجب إثراء رصيد الطفل مبكرا عن محيطه ومعرفة مسمياته ومهامه فمثلا كتابة

لافتة على جداريه محل أو مؤسسة مثل: (عيادة–مشفى–مكتبة - جامعة - مدرسة- متجر- جزار –محطة– مرفأ- .....الخ). مما يزود التلميذ بتسميات شتى وأدوات للتعبير في المدرسة والمحيط، خلاف التسمية بلغة أجنبية وغيرها هذا كثير.

مما اعتاد عليه البعض من الناس يعبرون بلغة أخرى غير العربية، ناهيك عن مسميات لا علاقة لها بالعربية أصلا، والعربية التي عَزَفَ بعض الناس من الحديث بها إن سألت عن السبب تكون الإجابة غالبا تندرج تحت دعاوى واهية الله غالب ... هذا كلامنا ....أو ألفناها ...أو هكذا جرت على ألسنتنا..... وغير ذلك من الدعاوى الواهية.

إن اللغة العربية التي يتنكر لها مثل هؤلاء المحسوبين عليها لا يضيرها ذلك فتعداد المتعبدين بها ما يقارب اثنين مليار من البشر على أديم هذه الأرض، فضلا عن المتحدثين بها من العالم العربي الذي يقارب نصف مليار (22دولة) من البشر تجري على ألسنتهم وفي دواوينهم ومؤسساتهم الرسمية.

ويكفي تعبيرا عنها شاعر النيل **حافظ إبراهيم**: عندما صاح ذات مرة.

.....

رموني بعقم في الشباب وليتني ..... عقمت فلم أجزع لقول عداتي

ولدت ولما لم أجد لعرائسي ..... رجالا وأكفاء وأدت بناتي

وسعت كتاب الله لفظا وغاية ..... وما ضقت عن آي به وعظات

فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة ..... وتنسيق أسماء لمخترعات

أنا البحر في أحشائه الدر كامن ... فهل سألوا الغواص عن صدفاتي

.....

فلا تكلوني للزمان فإنني ..... أخاف عليكم أن تحين وفاتي

أرى لرجال الغرب عزا ومنعة ..... وكم عز أقوام بعز لغات

أتوا أهلها بالمعجزات تفننا ..... فيا ليتكم تأتون بالكلمات

أيطربكم من جانب الغرب ناعب ..... ينادي بوأدي في ربيع حياتي

.....

سقى الله في بطن الجزيرة أعظما.... ..... يعز علها أن تلين قناتي

حفظن ودادي في البلى وحفظته ..... لهن بقلب دائم الحسرات

وفاخرت أهل الغرب والشرق مطرق ... حياء بتلك الأعظم النخرات

أرى كل يوم في الجرائد مزلقا ..... من القبر يدنيني بغير أناة

.....

أيهجرني قومي عفا الله عنهم ..... إلى لغة لم تتصل برواة

سرت لوثة الإفرنج فيها كما سرى .....لعاب الأفاعي في مسيل فرات

.....

إلى معشر الكتاب والجمع حافل... ... بسطت وجائي بعد بسط شكاتي

فإما حياة تبعث الميت في البلى..... ..... وتنبن في تلك الرموس رفاتي

.....

أنا البحر في أحشائه الدرُّ كامنٌ.....فهل سألوا الغواص عن صدفاتي[31].

وخلاصة القول: فإن العملية التربوية تقوم على هذه المرتكزات ثلاث [المنهاج، والمعلم، والتلميذ].

وثالث هذه المرتكزات أو الدعائم المنهاج [البرنامج].

إن التعريف اللغوي للمنهاج: نهج الطريق الواضح، ونهوجا: وضح واستبان، والمنهاج: الطريق الواضح[32].

والمفهوم التقليدي للمنهج الدراسي:

وقد عرف المنهج بمفهومه التقليدي بأنه عبارة عن مجموعة المواد أو المقررات الدراسية التي يدرسها الطالب في حجرة الدراسة ويدرسها له المدرس[33].

قال تعالى: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[34].

المفهوم الحديث للمنهج الدراسي: هومجموعة الخبرات التربوية التي تقدمها المدرسة إلى التلاميذ داخل المدرسة وخارجها لتحقيق النمو الشامل المتكامل في بناء البشر، وفق أهداف تربوية محددة وخطة علمية مرسومة جسميا وعقليا ونفسيا واجتماعيا ودينياً[35].

والمنهاج الدراسي لابد أن يأخذ بعين الاعتبار تلك القيم والمبادئ التي يقوم عليها بناء المجتمع من الوعي للذات والمقومات وبالانتماء الحضاري الممتد الذي ينبني على الفعلالإيجابي الذي يعنى بغرس تلك القيم الخالدة. وهذا لايتأتىإلا عن طريق المدرسة التي تسهم في تعليم الناشئة .

خاتمة:

وعليه يمكن القول هنا في ختام الحديث عن النتائج المتوصل إليها في هذاالمقال:

- ضرورة تكوين المعلم (الأستاذ) الكفء الذي يكون عليه المناط في التربية والتعليم.
- ضرورةت عليم القراءة للتلميذ مع المواد المكملة كالتعبير والإملاء والمطالعة والمحادثة.

- إن تعليم القراءة الصحيحة يؤدي إلى التعبير باللغة الصحيحة في المواقف التي تستدعي ذلك.
- ضرورة تعريب المحيط أو الوسط الاجتماعي الذي يثري لغة التخاطب لدى التلميذ ويزيد من معجمه اللغوي.
- ضرورة تعريب المستجدات من المبتكرات الحديثة لاسيما التي يتعامل معها التلميذ.

*** *** ***

الهوامش

[1] ينظر: عادل أبو العز سلامة وزملاؤه، طرائق التدريس العامة، معالجة تدريسية معاصرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، عمان، ط1/2009، ص32.

[2] ينظر: أحمد حسن عبيد، فلسفة النظام التعليمي وبنية السياسات التربوية، مكتبة لأنجلو المصرية، القاهرة ط/1976، ص273.

[3] ينظر: محمد الهادي عفيفي وسعد مرسي أحمد- قراءات في التربية المعاصرة- نشر عالم الكتب، القاهرة (د.ط)، ص69.

[4] ينظر: المرجع نفسه، ص70.

[5] ينظر: محمد هاشم الفالوقي، المناهج التعليمية، مفهومها، أسسها، تنظيمها، الجامعة المفتوحة، طرابلس ط/1997م،(د، ط)، ص124.

[6] ينظر: أحمد شوقي، الشوقيات للمدارس، مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر، ط، 1352ه/1933/م، ص ص4، 5.

[7] ينظر: محسن علي عطية، تدريس اللغة العربية في ضوء الأداءات الكفايات الأدائية، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1/2003، ص25.

[8] ينظر: محسن علي عطية، الكافي في أساليب تدريس اللغة العربية، دار الشروق للنشر والتوزيع، ط1/2006م ، ص31.

[9] سورة الكهف الآيات [65- 68].

[10] ينظر: محمد صالح حثروبي، الدليل البيداغوجي لمرحلة التعليم الابتدائي، دار الهدى للنشر والتوزيع، (دط، دت)، ص26.

[11] ينظر: فوزي الشربيني، وعفت الطناوي.التعليم الذاتي بالموديلات التعليمية، القاهرة ط1/2011م.ص18.

[12] ينظر: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري، معجم لسان العرب، المجلد الأول، دار صادر- بيروت لبنان ط1/1410ه/1990م.مادة (قرأ)-[أ-ب]ص28.

[13] ينظر: الشيخ عارف، القراءة من أجل التعلم، ص19.

[14] الكندي، لطيفة حسين، تشجيع القراءة، المركز القومي للأمومة والطفولة، الكويت ط1/ 2004م ، ص16.

[15] فهد خليل زايد، أساليب تدريس اللغة العربية بين المهارة والصعوبة، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، الطبعة العربية، 2013م، ص ص 43-44.

[16] سورة العلق الآيات [1-5] .

[17] ينظر: سعد علي زاير وإيمان إسماعيل عازر، - مناهج اللغة العربية وطرائق تدريسها - دار صفاء للنشر والتوزيع - عمان –الأردن - ط1/1435ه-2014م، ص487. .

[18] المرجع نفسه، الصفحة نفسها. .

[19] المرجع نفسه، الصفحة 488.

[20] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[21] المرجع نفسه.

[22] أخرجه البيهقي في شعب الإيمان، (2/254، رقم 1664).

[23] هناك من قال بأنه حديث لكن ضعفه أهل العلم وقالوا بأنه قول منسوب لمحمد بن إدريس الشافعي.

[24] مصطفى صادق الرافعي، وحي القلم، ج3، دارالمعارف، ط/1972م، ص33.

[25] المرجع نفسه، ص37.

[26] ينظر: تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط1981/2م، ص46.

[27] ابن السكيت، يعقوب بن إسحاق، إصلاح المنطق، تحقيق: محمد مرعب، دار إحياء التراث العربي، ط1 /2002م، ص8.

[28] عبدالرحمن بن الجوزي، تقويم اللسان، تحقيق عبدالعزيز مطر، دار المعارف، القاهرة.ط/2، 2006م، ص55.

[29] عبد العزيز بن عثمان التو يجري، مطبعة الإسيسيكو، المغرب الرباط، [د.ط/د.ت]ص17.

[30] وهنا نسجل ملاحظة عن الخط الذي غفل عنه الكثير. حيث نجد من التلاميذ من لا يستطيع رسم ولو كلمة بشكل واضح ومقروء ناهيك عن الإبداع فيه وهذا مما لا يليق بمن تعلم السنين الطوال، وقد تعدى هذا الأ مر إلى بعض المعلمين والأساتذة. . وهذا الذي وقفنا عليه من خلال مهنتنا في التعليم منذ سنين.

[31] ينظر: ديوان حافظ إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ط1980/2م، ج253/1.

[32] أنيس، إبراهيموآخرون، د.ت، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ج966/2.

[33] الشافعي، إبراهيم محمد وآخرون، 1417هـ، المنهج المدرسي من منظور جديد، مكتبة العبيكان، الرياض المملكة العربية السعودية، ص30.

[34] سورة المائدة الآية 48.

[35] يونس فتحي وآخرون، 1425هـ، المناهج [الأسس - المكونات . التنظيمات- التطوير] دار الفكر عمان الأردن، ص 17.